دور القيادة السياسية المستكبرة في التضليل الإعلامي في المنظور القرآني

إعداد

عبد الحميد محمد علي زرؤم

بحث تكميلي مقدّم لنيل درجة الماجستير في علوم الوحي والتراث
(القرآن والسنة)

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

مايو ٢٠٠٣م

ملخّص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واحدة من أكثر القضايا المعاصرة تعقيداً، اجتماعيا وإعلاميا وسياسيا ونفسيا، وهي قضية التضليل الإعلامي الذي يُمارَس ضد الجماهير من قِبَل القيادة السياسية المستكبرة.

أهمّ رموز وشخصيات هذه الدراسة تمثّلت في فرعون والنّمرود وأبي جهل وعبد الله ابن أُبيٍّ، وعبد الله بن سبأ، ومسيلمة الكذّاب، وأمثالهم كثيرون في عصرنا هذا، تتشابه وسائلهم وأساليبهم في تضليل الجماهير.

استخدم الباحث المنهج التحليلي في تناوله دور القيادة السياسية المستكبرة في تضليل الجماهير من منظور قرآني، فتطرّق إلى الدوافع والوسائل والأساليب والنتائج التي تترتّب على التلاعب بالعقول وتسميم الرأي العام.

كما استخدم المنهج التاريخي الاسترادادي بغرض الاهتداء إلى سرّ التشابه بين النماذج التي يعرضها القرآن الكريم عن العصور الماضية وما نعيشه في الوقت الراهن.

واستعان الباحث بالمنهج المقارن للوقوف على حقيقة الدور الذي أدّته القيادات المستكبرة في العصور السالفة في تشويه المعلومات، ونشر الشائعات، ومحاربة أصحاب الدعوات الإصلاحيّة، وما تؤدّيه القيادات المستكبرة اليوم عبر وسائل الإعلام المقروءة والمرئيَّة والمسموعة.خُتمت الدراسة بذكر أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحث، ومنها :

* إن المنظور القرآني لمواجهة التضليل الإعلامي، أو الحرب النفسية وأسلحتها الفتّاكة يتمثّل في إغلاق منافذ الشر.. وعدم الانصياع لإشاعات المستكبرين.

* إن القيادة المستكبرة تتفنّن في استخدام شتّى أساليب الإغراء والإغواء بغرض خداع الجماهير، وكسبهم إلى صفّها، وضمان تأييدهم لها، والاحتفاظ بمناصبها.

* إن الحرية هي الأساس الذي يكفل للجماهير أن تُعبّر عن آرائها،وتتّخذ ما تراه من المواقف والاتجاهات، أما الممارسات القمعيّة، وأساليب الضغط والإكراه فإجرام تُدينه فطرة الله التي فطر الناس عليها، ويتنافى مع مبدأ تكريم الإنسان.

ABSTRACT

This study is an attempt to shed light on one of the most complicated contemporary issues. Indeed the propaganda, which is practised by the absolute and overbearing political leaders will be the fcous of this study. The selected models of oppressors are The Pharoah, Namrud, Abu Jahl and others.To address the issue, the study adopted the historical, analytical, and comparative methods. Thus, the researcher studied the role of the overbearing political leaders in deceiving the public in order to stop them from following the messengers of Allah or the reformers. The study analyzes the motives, means, manners, as well as the consequences of deceiving the public.

The research concluded that: From a Quranic perspective, to counter attack propaganda or psychological warfare, the public should refrain from accepting or spreading any lies and hearsay. The overbearing political leaders make use of all means of propaganda and psychological warfare to gain public support and to deviate the public from the real issues and concerns. Freedom is the basic element that allows the public to express their minds and to take sides with whatever party they like. Any attempt to deny this very fundamental fact or to impose ideas upon the public should be regarded as a sort of dictatorship which is totally rejected by the Quran.

APPROVAL PAGE

I certify that I have supervised and read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a thesis for the degree of Master of Revealed Knowledge and Heritage **(Quran & Sunnah).**

Layth Suud Jassim
Supervisor

I certify that I have read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a thesis for the degree of Master of Revealed Knowledge and Heritage **(Quran & Sunnah).**

Ahmed El. Mogtaba
Examiner

This thesis was submitted to the Department of Quran & Sunnah and is accepted as partial fulfilment of the requirements for the degree of Master of Revealed Knowledge and Heritage **(Quran & Sunnah).**

Habeeb Rahman Ibramsa
Head,
Department of Quran & Sunnah

This thesis was submitted to the Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences and is accepted as partial fulfilment of the requirements for the degree of Master of Revealed Knowledge and Heritage **(Quran & Sunnah)**

Mohamad @ Md. Som Sujimon
Dean,
Kulliyyah of Islamic Revealed
Knowledge and Human Sciences

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. Other sources are acknowledge by footnotes giving explicit references and a bibliography is appended.

Name: Abdulhamid Mohamed Ali Zaroum

Signature..... ..... **Date**..10-9-2003.....

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٠٣ محفوظة لـــــ عبد الحميد محمد علي زرؤم.

دور القيادة السياسية المستكبرة في التضليل الإعلامي – في المنظور القرآني .

لا يجـــوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونـــية أو غيرهـــا) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتاباتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبَس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢. يكـــون لـــلجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣. يكـــون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤. ســـيزود الباحـــث / الباحثة مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا بعنوانه / عنوانها مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥. ســـيتم الاتصال بالباحث أو الباحثة لغرض استحصال موافقته/ موافقتها على استنساخ هـــذا البحـــث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه / عنوانها البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتـــبة. وإذا لم يستجب الباحث أو الباحثة خلال عشرة أسابيع من تأريخ الرسالة الموجهة إليه أو إليها، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكّد هذا الإقرار: عبد الحميد محمد علي زرؤم

.....	10-9-2003 .....
التوقيع	التاريخ

إِلَى الزَّهْرَةِ الَّتِي قَطَفَتْهَا يَدُ الْمَنُونِ وَلَمّا ...

– وَالِدَتِي " زَهْرَة " أَسْكَنَهَا اللهُ فَسِيحَ جَنّاته.

إِلَى الْغَضَنْفَرْ الَّذِي رَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنِي بِرُؤْيَتِه– وَلَدِي " أُسَامَة "

وَإِلَى رَمْزِ الصُّمُود ، وَعُنْوَانِ الثَّبَات – وَالِدي العَزِيزِ ، مَتّعَنَا اللهُ بِصِحّته.

وَإِلَى الدَّاعِيَةِ الصَّبُورِ – شَقِيقِي عَبْدِ العَلِيمِ ، فَكّ اللهُ أَسْرَهُ وَصَحْبَهُ.

إِلَيْكُمْ جَمِيعاً أُهْدِي هَذا العَمَل المُتَواضِع .

ذِكْرَى وَفَاءٍ وحُبٍّ وَأَمَل.

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره على توفيقي على إتمام هذا البحث ، ثم على كثير نعمائه ، وجميل آلائه التي لا تُحصى ولا تُعدّ، لا يسع كاتب هذه الكلمات إلا أن يتوجّه بأجزل الشكر وأجلّ العرفان إلى كل أصحاب القلوب الحيّة. والأيادي البيضاء الذين لم يبخلوا عليَّ بإسداء نصح، و صالح دعوات، وحسن ذكر، ودعمٍ مادّي.

الشكر أجزله لوالدي العزيز على تشجيعه لي على مواصلة الدراسة، ولشقيقي الأستاذ عبد العزيز، وللأخ محمد إدريس سعيد (أبي عبد الرحمن) على دعمهما المادّي والمعنوي.

وجميل العرفان لزوجتي- رفيقة الدّرب، وشريكة الحياة - التي حملت معي همّ إنجاز الرسالة، وضحّت في سبيل ذلك بالأوقات الأُسَريّة. كما أشكر ابنتي " إشراقة الأمل " على تحمّلها فترة انشغالي عنها، وتضحيتها بأوقات لعبي معها.

وأخصّ بالشكر الجزيل أستاذي الفاضل الدكتور ليث سعود جاسم الذي أشرف على هذه الرسالة، وما بخل عليّ بملاحظاته القيّمة التي أفادتني كثيراً، بل إنه زوّدني بمراجع نفيسة من مكتبته الخاصّة. ولا أنس المشرف المساعد — من قسم الإعلام- الدكتور محمود غلندر، وما أمدّني به من كتب وملاحظات نفيسة سيّما في الجانب النظري الإعلامي.

ولا يفوتني أن أشكر القارئ الثاني لهذه الرسالة الدكتور أحمد المجتبى بانقا على ملاحظاته الجيّدة، وقراءته المتأنّية للرسالة.

كما أشكر الأخوة الدكتور عبد الله الجيوسي على تشجيعه واقتراحه لي أن أكتب في "التعتيم الإعلامي" والدكتور عوض إبراهيم عوض على مناقشاته واقتراحاته في فترة إعداد خطّة البحث، وأشكر كل الأخوة الذين سخروا لي أدوات الطباعة.

أسأله تعالى أن يجازيهم جميعاً بخير ما يجازي به عباده الصالحين، آمين.وأخيراً أشكر الجامعة الإسلامية العالمية على إتاحتها لي فرصة مواصلة الدراسات العليا، وقسم القرآن والسنة، وكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ومركز الدراسات العليا.

المحتويات

الموضوع الصفحة

الفصل الأول التمهيدي: .....

مقدمة ٢

إشكالية البحث ٣

توضيح مصطلحات ٣

أسئلة البحث ٤

أهداف البحث ٥

أهمية البحث ٥

الدراسات السابقة ٥

منهج البحث ١١

الفصل الثاني: مدخل عام

مكانة القيادة السياسية في المنظور القرآني ١٣

دور الإعلام كما يصوّره القرآن ١٤

العلاقة بين الإعلام والسياسة ١٥

التضليل الإعلامي – تعريف ١٦

مدخل نظري..... ١٧

الفصل الثالث: التضليل الإعلامي : الدوافع – والمصادر.....

المبحث الأول: دوافع التضليل الإعلامي..... ٣٠

المطلب الأول خداع الجماهير ٣٠

المطلب الثاني: كسب التأييد، والاحتفاظ بالمناصب ٣٩

المطلب الثالث: تمرير السّياسات الطائشة..... ٤٥

المبحث الثاني: مصادر التضليل الإعلامي..... ٥٥
المطلب الأول: القيادة السياسية وخطابها الموجَّه إلى الجماهير..... ٥٥
المطلب الثاني: الخطباء..... ٦١
المطلب الثالث: الشعراء..... ٦٧
المطلب الرابع: السحرة والكهنة..... ٧٣

الفصل الرابع: أساليب التضليل الإعلامي و وسائل الدعاية السياسية السلبية:
المبحث الأول: أساليب التضليل الإعلامي..... ٧٧
المطلب الأول: التظاهر بحب الجماهير والسهر على مصلحتها..... ٧٧
المطلب الثاني: الإثارة العاطفية..... ٨٣
المطلب الثالث: إثارة الشكوك والشبهات..... ٨٨
المطلب الرابع: الشائعات..... ٩٥
المبحث الثاني: وسائل الدّعاية السياسية السلبية..... ١٠٢
المطلب الأول: الهجوم المباشر..... ١٠٢
المطلب الثاني: المقارنة المباشرة..... ١١٦
المطلب الثالث: المقارنة الضمنية..... ١٢١

الفصل الخامس: أساليب التضليل الإعلامي في عصر النبوة
المبحث الأول: أساليب التضليل الإعلامي في عصر النبوة..... ١٢٥
المطلب الأول: أساليب الكفار..... ١٢٥
المطلب الثاني: أساليب المنافقين..... ١٣٥
المطلب الثالث: أساليب اليهود..... ١٤٦
المطلب الرابع: أساليب مدّعي النبوة..... ١٥٥
المبحث الثاني: نماذج قرآنية من التضليل الإعلامي في عصور ما قبل الإسلام : ١٦٣
المطلب الأول: قوم صالح..... ١٦٣
المطلب الثاني: قوم شعيب..... ١٦٨

المطلب الثالث: قوم موسى ١٧٢

الفصل الساد س: نتائج التضليل الإعلامي

المبحث الأول: بلبلة الأفكار ١٨٣

المبحث الثاني: تخدير العقول ١٨٨

المبحث الثالث: تزييف الحقائق ١٩١

المبحث الرابع: تناقض المواقف ١٩٥

الخاتمة: نتائج البحث، والدروس المستفادة من التضليل الإعلامي ٢٠١

ملحق الآيات القرآنية ٢٠٨

المصادر والمراجع ٢١٢

الفصل الأول : الفصل التمهيدي : إشكالية البحث ومفاهيمه الأولية

تمهيد

إشكالية البحث

توضيح مصطلحات

أسئلة البحث

أهداف البحث

أهمية البحث

الدراسات السابقة

منهج البحث

مقدمة

لا شيء في الوجود يعدل كرامة الإنسان، والحفاظ على روحه وعقله وممتلكاته، لأنه إليه اتجه الخطاب الإلهي، وعلى عاتقه تقع مسؤولية تبليغ دعوة الله، وهو المنوط- من دون سائر المخلوقات- بعمارة الأرض، بل كل الخلائق مسخَّرة لخدمته، تعمل تحت تصرّفه.

لقد ميّز الله تعالى بني آدم بالعقل- الذي هو مناط التكليف- وأمر ملائكته بالسجود له.هل ثَمَّة تكريم يعدل هذا ؟!

ومن هنا فإن أي عبث بهذا الإنسان- الذي هذا هو شأنه- يعتبر خرقا لقانون الله، وتمرّدا بواحا على أوامر الخالق عزّ وجلّ.وأن تهدم الكعبة-وهي أشرف بقعة على ظهر البسيطة- أهون عند الله من أن يراق دم إنسان بدون وجه حق.

لم يكتف الإسلام بتحريم إهراقة الدماء، وإزهاق الأرواح فحسب، بل إنه شدَّد- وبالغ في التشديد- على حرمة سلب الإنسان عقله وحريته، وإكراهه على أمر لا يرضاه ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] فإذا كان الإكراه على اعتناق الدين الحق ممنوعا، فمن باب أولى يكون الإكراه وسلب الحرية في المسائل الدنيوية الاعتيادية أشدّ منعا.

العلاقة بين الإعلام والسياسة قديمة قدم وجود التجمّعات البشرية. فالقيادة السياسية أو أعيان القوم ووجهاؤهم، أو الملأ بالتعبير القرآني يستخدمون شتَّى وسائل الإعلام لتثبيت أركان عروشهم، وضمان استمرار سلطانهم؛ من خطب رصينة..وأشعار بليغة..تحمل الوعد والوعيد، ولقاءات، ومراسلات، وسحر وكهانة، وغير ذلك. ومن خلال هذه الوسائل تتم عمليات سلب الحريات، وتضليل العقول الساذجة، والتعتيم على ما تقوم به القيادات، وفرض رأي الأقلية المستبدة على الأكثرية المغلوبة على أمرها.

وكثيرا ما تصاحب عمليات التضليل الإعلامي هذه شعارات برَّاقة خدَّاعة، تتلاعب بعواطف الجماهير، موهمة إيَّاها بأن القيادة تسهر من أجل مصلحتها ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٢٩].

ولكي يؤدِّي التضليل الإعلامي دوره بنجاح، ويصيب المقتل، تتترَّس القيادات بإشاعات يطلقونها..ومؤامرات يحيكونها..يرمون من ورائها اهتزاز صورة الخصوم (أصحاب دعوة الحق) أمام أعين الدَّهماء ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨،١٩] ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء : ٢٧] ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥].

ليس هذا فحسب بل إنهم يمارسون أبشع أنواع الجرائم- إمعانا في التضليل- ضدَّ من مال إلى دعوة الحق، بحجَّة التآمر على الشعب، والعبث بمقدراته ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣،١٢٤] وأمام هذا التحدِّي المتعجرف تصمد القلوب الخالية إلاّ من الإيمان..الرافضة لكل سلطان إلا سلطان الرحيم الرحمن..وليفعل الطغاة ما يفعلون.

تمثِّل بعض هذه المشاهد بعض نتائج التضليل الإعلامي الذي تمارسه القيادة السياسية ضد جماهيرها.

(أ) إشكالية البحث :

تُرى ما الذي يخافه عِليةُ القوم وصناديدُهم من عامّة الشعب؟وما حقيقة التضليل الإعلامي الذي تمارسه القيادة السياسية المستكبرة، وما دواعيه ووسائله وأساليبه ونتائجه؟ ما هي رؤية القرآن تجاه هذه القضية؟.

لبحث هذه الإشكالية عزم الباحث على دراسة موضوع القيادة السياسية المستكبرة والتضليل الإعلامي من منظور قرآني،دراسة مستفيضة،نحلِّل فيها الأحداث والوقائع التي نتناولها، ونربطها بالواقع المعاش اليوم.

(ب) توضيح مصطلحات:

في دراستنا هذه ستتكرّر مصطلحات عدّة،تسير معنا من مبتدأ البحث إلى منتهاه، لذلك حريٌّ بنا تحديد ما تحمله من معانٍ حتى تتَّضح الرؤية، وهي:-

- القيادة السياسية: المقصود بهذا المصطلح الطبقة التي تتولّى تدبير شؤون جماعة معيَّنة، أو شعب معيّن، ولا تقتصر على الحاكم فقط وإن جاء في مقدمتهم.

فالقيادة السياسية- في إطار هذه الدراسة- تشمل كل من له كلمة مسموعة في إدارة دَفَّة الحكم في بلدٍ مَّا، وهم: الحاكم، والأعيان، والملأ، كما تشمل أيضا من يتوقون إلى الحكم من أقطاب المعارضة السياسية.

* المستكبرة: نقصد بها القيادة التي تعادي الرسل، وتحارب المصلحين، وتقف أمام كل دعوة خير. وهو مصطلح قرآني ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ ﴾

- التضليل الإعلامي: نعني بالتضليل الإعلامي تشويه الحقائق..واختلاق الأكاذيب.. وبتر المعلومات وتقديمها إلى الناس بصورة مُموِّهة، وذلك لغرضَين اثنين:

أ) إبراز الرموز القيادية بأجمل صورة، وأنها تسهر من أجل مصلحة الشعب. أو تضخيم الأفكار والمواقف والمعتقدات.

ب) إظهار الخصوم بشكل مُزرٍ وأنهم يعملون من أجل إفساد الشعب.

وهنا ترد ملاحظة هامة، وهي أننا سنقتصر على التضليل الإعلامي السلبي فحسب. أمّا التضليل الإعلامي الإيجابي فهو خارج نطاق بحثنا. وأمثلته كثيرة منها: قوله عليه السلام للسائل: " نحن من ماء " [القرطبي ١٢ / ٢٩١] وقول أبي بكر رضي الله عنه في شأن الرسول: إنه هادي، كذلك إحالة إبراهيم عليه السلام لقومه إلى كبير الأصنام ليسألوه إن كان ينطق، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته عندما فقدوا صُوَاع الملك،الخ.

- المنظور القرآني : نقصد به أسلوب القرآن في عرض هذه الظاهرة ومعالجته لها من خلال استقراء آيات القرآن وسوره وتدبّرها وتحليلها تحليلا دقيقا للخروج برؤية تبيّن لنا مفهوم القرآن في التعامل مع هذه الظاهرة البشرية.

(ج) أسئلة البحث :

١- هل للتضليل الإعلامي دور في تزييف الحقائق، و لِمَ تسقط الجماهير فريسة التضليل الإعلامي ؟

٢- ما دوافع التضليل الإعلامي؟ وما أغراضه ؟

٣- ما هي الوسائل التي تستخدمها القيادة السياسية المستكبرة في هذا المجال؟

٤- ما هي نتائج التضليل الإعلامي؟

(د) أهداف البحث :

١- الكشف عن أساليب التضليل الإعلامي الذي تمارسه القيادة السياسية المستكبرة.

٢- توضيح الوسائل المستعملة في التضليل الإعلامي.

٣- الكشف عن دور التضليل الإعلامي في تسميم الرأي العام،وآثاره السلبيّة على الأمة،وكيفية حلّها على ضوء المنهج القرآني.

٤- المقارنة بين النماذج التي ذكرها القرآن وبعض النماذج المعاصرة.

(هـ) أهمية البحث :

تظهر أهمية هذه الدراسة في علاجها لقضية اجتماعية كبرى،متمثّلة في تضليل الناس، وتزويدهم بمعلومات مغلوطة للحيلولة دون الوصول إلى رؤية صحيحة لحقيقة حدث ما.

وتكتسب الدراسة أهميتها من أنها غطّت جانباً أغفلته الدراسات السابقة، إذ أنه- حسب علم الباحث- لم يسبق أن كتب أحدٌ في هذا الموضوع من منظور قرآني.

كما تأتي أهمية هذه الدراسة أيضاً من كونها تبحث في إحدى القضايا الإعلامية الهامة على ضوء مصدرية الوحي: القرآن والسنة.

تفتقر المكتبة الإسلامية إلى كتابات تتناول هذه الجوانب المهمَّة من الدراسات، تبرز الصلة الوثيقة بين تضليلِ الجماهير،وخوفِ القيادات السياسية من فُقدان المصالح..وضياع الجاه والسلطان. وتلبية لهذه الحاجة تجيء هذه الدراسة كمحاولة متواضعة للكشف عن دور القيادة السياسية في التضليل الإعلامي من منظور قرآني.

(و) الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت موضوع الدعاية، والحرب النفسية، وكيفية تكوّن الرأي العام، إلاّ أنّنا لم نعثر على مُؤلَّف خصصه صاحبه للحديث عن التضليل الإعلامي كما تمارسه القيادة السياسية المستكبرة من منظور قرآني، وقد اجتهد الباحث في تتبع الموضوع، المتناثر في ثنايا كتب الإعلام وغيرها، وكانت المحصِّلة هي القراءات التالية:

"غسيل المخ وتحطيم العقائد" عبد الحكيم عفيفي

فكرة هذا الكتاب تدور حول تعريف القارئ بطبيعة عمليات غسيل المخ، وكيف يستخدمها الأعداء ضدّ من يخالفهم في المعتقد. يعرّف الكاتب بالوسائل التي يقوم الأعداء

بتطبيقها لإنجاح أغراضهم وتحطيم إرادة وعقيدة من يريدون السيطرة عليه.
عملية غسيل المخ تهدف فيما تهدف إلى التحكُّم أو السيطرة على فكر فرد أو جماعة أو مجتمع من المجتمعات ضدّ إرادتهم ورغبتهم وعلمهم، سواء كان بغرض سياسي أو عقائدي أو ثقافي أو أخلاقي.
قد وَجد المصري القديم نفسه مشدوداً إلى دين الفرعون (الملك) وحاشيته من رجال الدين، وأصبحت قوة الدين هي قوة الفرعون الذي كان يُألِّه نفسه، وتحت تصرفه كل خيرات مصر، ومن أجله ومن أجل الآلهة تبذل كل الجهود. استطاعت سلطة الملك وجهاز الدولة، والسلطة غير المحدودة لرجال الدين أن تقنع المصري القديم بمرور السنيين أن ما يقولونه هو الصحيح، وأن ما يطلب منه من أفعال وسلوكيات يجب عليه أن يقوم بها دون تردد أو إبطاء.
لقد استطاع رجال الدين أن يحقنوا عقل الرجل المصري العادي بقدر كبير من الرضا بالواقع حتى يفوز برضا الآلهة وخيرا تهم في الحياة الثانية بعد الموت (مع أوزوريوس).
يذهب عفيفي إلى أن المصريين القدماء قد خضعوا على مر السنيين لأول عملية تحكيم كامل في العقول و الفكر عن طريق الوعد الديني لأن الآلهة ستجازيهم خيراً في الحياة الثانية بعد الموت.
هذا الكتاب جدُّ مفيد، بيد أن إطالته في مناقشة عمليّات غسيل المخ في النظم الشيوعية طغت على بقية الموضوعات الأخرى.

الإعلام السِّياسِيّ والإسلام

"دراسة عن الرَّأي العامّ وكيف تصنعه وتُسيطر عليه" موسى زيد الكيلاني

تناول الإقناع السِّياسِيّ وذكر أنه يلجأ إلى الإعلام للتأثير على الرَّأي العامّ من محوَرَين، أحدهما: نفسي، والآخر: اجتماعي، يستفيد القائد من خلال استخدام الإعلام في زرع أفكاره السِّياسِيّة لإبراز المنجزات التي حقَّقها، ليرسم لشعبه الحلم الزاهي المغري عن عالم الغد، الذي سيكون لهم إذا ما التحقوا بحزبه واتَّبعوا قيادته.
ويذهب الكيلاني إلى أن السِّر في الإقناع السِّياسِيّ وتأثره على الرَّأي العامّ هي الكلمة وهي ما أشار إليها الخالق سبحانه وتعالى عندما قال "اقرأْ" وقال في الكلمة التي هي أصل الخليقة "كنْ فيكُون" وورد في الإنجيل " في البدْءِ كانت الكلمة".

"الرَّأي العامّ بين القوَّة والأيديولوجيَّة" إسماعيل سعد.

يذهب المؤلِّف إلى أنَّ للرَّأي العامّ ارتباط بالكارزما (الصِّفات غير العادية التي يتميَّز بها القائد) والتاريخ الإنساني – قديمه وحديثه – أعطانا أمثلةً لأشخاصٍ تتجسَّد فيهم القدرة على اجتذاب جموع الناس، واستثارة الاستجابة التِّلقائية لديهم لما يطرحه هؤلاء القادة من معتقداتٍ وما يفرضونه من سياسات.

بحث الكاتب مسألة "الدِّعايَة"، وأوضح كيف أن الشَّيء الأساسيَّ في عمليَّة الدِّعايَة هو محاولة التَّأثير في العواطف، من خلال طرح أسئلةٍ أو التخويف من المآل أو غير ذلك. وتتمُّ الدِّعايَة في العموم، بإحدى طريقتَين: إما بنشر المعلومات أو حجبها جزئياً أو كلياً، وهذا الحجب يتمُّ من خلال العمليّات الرقابيَّة المتنوّعة،والتي غالباً ما تتمثَّل في اتجاهين أساسيَّين، أو كليهما: الضغط الانتقائيُّ للمعلومات الذي يترتَّب عليه طرح وتعزيز وجهة نظر معيَّنة، وثانيهما التلفيق المتعمَّد للمعلومات على نحوٍ يكفل إحداثَ انطباعٍ يغاير القصد الأصليَّ منها. وينتقل الكاتب من معنى "الدِّعايَة" بمعناها الواسع إلى شرح " الدِّعايَة السِّياسيّة" التي أصبحت اليوم سمةً من سمات الدَّولة الحديثة. الدِّعايَة السِّياسيّة هي التي تمارسها الصَّفوة السِّياسيّة الحاكمة بقصد تثبيت أركان حُكمها، وإبقاء زمام السيطرة في يدها.

"استراتيجية الإعلام العربي" السيد عليوة.

تناول المؤلِّف أثر الزعامة والقيادة في تكوين اتِّجاهات الرَّأي العامّ، فالزعيم أو القائد هو الشخص الذي يتقبَّل الناس أحكامه ومشاعره باعتباره أساساً للعقيدة والسُّلوك. ويتمثَّل دور الزعيم في التَّأثير في اتِّجاهات الناس وتصرفاتهم ومعتقداتهم.

رصد الكاتب ثلاث درجاتٍ من الرَّأي العامّ لمدى تأثُّرها بالدِّعايَة وهي:

الرَّأي العامّ القائد (أو رأي النُّخبة)، والرَّأي العامّ المستنير، والرَّأي العامّ المنساق. وهذا الأخير هو رأي السَّواد الأعظم الذي ينقاد لما توجِّهه إليه النُّخبة، وتؤثر فيه الدِّعايَة، ويتقبل الشائعات، وينفعل بكل ما ينشر ويذاعُ ويُقال.

تنطوي الدِّعايَة بصفةٍ عامَّة على شقين رئيسيَّين: إيجابي وسلبي. ويهمُّنا في بحثنا هذا الشِّق السلبي الذي يهدف إلى الحيلولة دون وقوع تغيير ما متوقَّع الحدوث ما لم توجه هذه

الحملة، وعموماً فإن الدِّعايَة تعتمد إلى حدٍّ كبيرٍ على العاطفة، بطريقٍ مباشر أو غير مباشر.

وتطرَّق السيد عليوة إلى الحرب النَّفسيَّة التي تهدف – من ضمن ما تهدف إليه – إلى تضليل الرَّأي العامّ.

"المتلاعبون بالعقول" هربرت أ. شيللر، ترجمة عبد السلام رضوان.

يستخدم الكاتب مصطلحات "توجيه العقول" تعليب الوعي"، "التَّضليل الإعلامي"، " التَّلاعب بالعقول"، ليقصد بها تلك الوسائل والأدوات التي تتبنَّاها النُّخب الحاكمة من أجل الحفاظ على السَّيطرة الاجتماعيَّة، وذلك من خلال تطويع الجَماهِير لأهدافها الخاصَّة، يطرح المؤلِّف ضمن صفحات هذا الكتاب رؤيةً تحليليَّة ناقدة لآليات السَّيطرة والتَّأثِير على عمليَّات جمع ونشر المعلومات في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وطبيعة القوى المهيمنة على وسائل الإعلام في المجتمع الأمريكيِّ، وهو يوضِّح – من خلال التَّحليل النَّقدي المفصل لآليات التَّوجيه الكامنة في أدوات إعلاميَّة مثل استطلاعات الرَّأي، والإعلانات التلفزيونية، وأفلام ومنشورات والت ديزني ... الخ- مدى قوَّة تأثر وعلو خبرة سائسي" العقول " هؤلاء في ترويج أفكارهم من خلال غمر الأمريكيِّين بالمعلومات بوصفها "وعياً" جاهزاً عبر وسائل الإعلام.

"حريَّة الرَّأي في الوحدة الفكريَّة بين المسلمين" د. عبد المجيد النجَّار.

تعرَّض الكتاب للوحدة الفكريَّة بين المسلمين رابطاً إياها بمسألة حريَّة الرَّأي من خلال التَّأصيل الإسلامي، كاشفاً النِّقاب عن رؤية الإسلام لهذه القضية الغاية في الأهمية. لقد ربط الكاتب حرية الرَّأي بالوحدة السِّياسيّة والمذهبيَّة والثقافيَّة والحركيَّة بين المسلمين.

يهمُّنا في موضوعنا، ما كتبه تحت مبحث " حريَّة الرَّأي والمنهج النقدي" حيث أشار إلى أن العقل حين يتحرَّر من التوحيد والوصاية فإنه تتاح له فرصة الوقوف على المعطيات المتنوعة في موضوع نظره، وحينئذٍ فإنه سيتوفَّر على فرصة المقابلة بين مختلف تلك المعطيات، والمقارنة بين المتعارضات منها، وبالتالي فإنَّه سيتوفَّر على فرصة للاهتداء إلى مظاهر الضَّعف ومظاهر القوّة، والخطأ والصواب، فيهتدي من خلال ذلك إلى الرؤية الصحيحة، والرَّأي الصواب، شأنه في ذلك شأن خليل الرحمن إبراهيم عليه السَّلام، إذ

انتهى به القول بعد عقد المقارنات، وإجراء الفحوصات إلى ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩].

أما حينما تضرب على العقل وصابةٌ من تقليد الموروث، أو من توجيه أصحاب النفوذ، ومراكز القوى، فإنه لا يرى من المعطيات إلا الشقَّ الواحد، واللَّون الواحد، فتكون الصُّوَر قاتمة، والمشاهد غير واضحة، وبالتالي ينتهي الفكر في كثيرٍ من الأحيان إلى الأحكام الخاطئة، وقد كان هذا الوضع حالاً لقوم فرعون وملئه حين حجَر على عقولهم أن ترى من المعطيات غير ما يقدِّمه لهم هو بنفسه. انظر إليه وقد عرض عليهم الرَّجلُ المؤمنُ معطيات أخرى غير مقترح فرعون بقتل موسى يؤكد إحكام الحجر على عقولهم "قال فرعَونُ ما أُرِيكم إلا ما أرى وما أهدِيكُم إلا سبيلَ الرَّشادِ" (غافر: ٢٩). ثم يخلص إلى القول بأنَّ هذا المسلكَ الفرعوني نشهد له نظائرَ كثيرة اليوم، خاصَّةً فيما يقوم به الإعلام المزيَّف.

أما الدكتور طه علواني فيشير في تقديمه لهذا الكتاب "**دورُ حريَّة الرَّأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**" إلى أن الطُّغاةَ لا يستخفُّون أقوامهم إلا لانخداعهم بغفلة الجَماهِير وطاعتها وانقيادها. والجَماهِير تحني رؤوسها فيستعلي الطاغيَّة، وتتنازل له عن حقُّها في العزَّة والكرامة فيتمادى في الضَّلال والطغيان، تفعل الجَماهِير هذا لأنها مخدوعة وخائفة، فيزيِّف لها الفاسق، ويخدعها ويوهمها أنَّه يملك لها شيئاً يضرُّها أو ينفعها.

"الاتِّصَال بالجَماهِير بين الإعلام والدِّعايَة والتَّنمية" د. أحمد بدر.

في الباب الرابع من هذا المؤلَّف، تحدَّث المؤلف عن "الدِّعايَة والدِّعايَة السِّياسيّة"، تعريفها وطبيعتها وأنواعها ووسائلها وتاريخها والأساليب الفنيَّة في الدِّعايَة، تكلم بإسهابٍ عن النظريات الإعلامية، وذكر بأنَّ نظرية السلطة أو التَّسلط ارتبطت بالأيديولوجيات المستبدَّة التي اعتمدت على عددٍ من المبادئ والمفاهيم المتطرِّفة المرتكزة على منطق العنف وفرض النُّفوذ، فكثير من فراعنة مصر مثلاً استدلّوا على فكرة الألوهيَّة التي تنادي بأنَّ الحاكم هو إله أو ابن إله!!! ومن ثمَّ فله التَّمجيد والاحترام والطاعة العمياء من جميع الرعاع، وعامة الناس. وقد سخَّرت كل وسائل الإعلام والاتِّصَال بين الحاكم والمحكوم في عهود الفراعنة إلى تأكيد فكرة التَّسلُّط والاستبداد بالرَّأي.

"الرَّأي العامّ والحرب النَّفسيَّة" د. مختار التهامي.

تناول في الفصل التاسع من كتابه " الأساليب التَّقليديةَّ" لتغيير الرَّأي العامّ". من هذه الأساليب: أسلوب الإثارة العاطفيَّة، وهي الدِّعايَة التي تعتمد أساساً على إثارة العواطف لا على المناقشة والإقناع. والواقع هذا الأسلوب ينبع عن احتقار دفينٍ للجماهير، واعتبارهم رعايا للدَّولة، عليهم أن يسمعوا ويطيعوا، لا مواطنين يشاركون في حكم البلاد، ومن حقّهم أن تصلهم الحقائق وأن يناقشوها.

وأسلوب الإثارة العاطفيَّة – بما يستلزمه من كذب وتضليلٍ وخداع – يتطلَّب لضمانه استمرار وصوله إلى أهدافه احتقار توجيه الجَماهِير، وعدم السَّماح بوصول آراء مخالفة أو دعاية مضادَّة.

"المسؤولية الإعلاميَّة في الإسلام" د. محمد سيد محمد.

يعالج هذا الكتاب قضايا الإعلام الإسلاميِّ بدءاً بتحديد معنى المسؤوليَّة الإعلاميَّة في الإسلام – التي عنون بها كتابه – ومروراً بملامح الإعلام الإسلاميِّ، وانتهاءً بأهميَّة إنشاء مركز عالمي للإعلام بالدعوة. لقد أفرد الكاتب فصلاً من فصول الكتاب للحديث عن الحرب النفسية في عصر النُّبوة، ركَّز فيه على أخطر وقائع هذه الحرب التي لم تستخدم فيها السُّيوف، وإنما استخدمت فيها الكلمات، وأحياناً الهمس والشَّائعات.

وفي معرض حديثه عن أساليب الحرب النفسية في عصر النبوة، أورد الكاتب أساليب عدّة، كانت عُدَّة أهل الكفر والنفاق في تشويه سمعة الرسول، وتصويره التصوير المنفِّر، فهو كذَّاب ساحر، كاهن مجنون، شاعر، إلى غير ذلك من صوَر التضليل الإعلامي. ثم أردف ذلك بإيراد الدروس المستفادة منها، وذكر صوراً كثيرة في هذا الصدد منها: أن المصارحة، وتغير الإجراءات والتَّصرفات من أهم أساليب مقاومة الشائعات والشُّكوك.

والكتاب مفيدٌ ومهمٌّ في مجمله، لكن ينقصه الشُّمول والتحليل الدقيق، ولو أنه أورد الآيات القرآنية ذات الصِّلة بالموضوع، محلِّلاً لها، ورابطاً أجزاءها، لكانت الفائدة أكبر.

جميع هذه الكتب التي راجعناها مفيدة ومهمة، ومع هذا فإن الباحث قد لاحظ أنّ بعضها يفتقد الدقة في تحليل الآيات والبعض الآخر منها لم يعنى عناية فائقة بربط النصوص بواقع

السياسة المعاصرة، ومعظمها لم يستقرأ تلك النصوص، وبالتالي لم يستنطقها. والباحث يحاول في دراسته هذه تلافي أوجه القصور،ويعمل على إكمال هذه النّواقص..

اللهَ نسأله التوفيق و السداد، فإنه خير مسؤول، وخير معطٍ.

(ز) منهج البحث:

ستحكم مسار البحث عدة نقاط منهجية نوجزها في الآتي :

أولاً : جمع واستقراء كل النصوص القرآنية،المتعلقة بالموضوع، أو ذات صلة به بغرض الوقوف على رؤية القرآن للظاهرة، وكيفية عرضها، ومن ثمّ الوصول إلى علاجها وفق المنظور القرآني.

ثانياً : تحليل الآيات القرآنية من خلال كتب تفسيرية قديمة و معاصرة، مضيفين إليها ما يهدينا إليه تحليلنا الشخصيّ، مؤيدين لما نذهب إليه بنماذج مستوحاة من واقعنا المعاصر.

ثالثاً : استخدام المنهج التاريخي الاستردادي بغرض الاهتداء إلى سرّ التّشابه بين النماذج التي يعرضها القرآن، عن العصور الماضية، وما نعيشه في الوقت الراهن.

رابعاً : وأخيراً استعانة الباحث بالمنهج المقارن، وذلك بعقد مقارنة موجزة بين بعض صور التضليل الإعلامي في الماضي و الحاضر.

الفصل الثاني : مدخل عام

مكانة القيادة السياسية من منظور قرآني

دور الإعلام كما يصوّره القرآن

العلاقة بين الإعلام والسياسة

التضليل الإعلامي – تعريف

مدخل نظري

*** مكانة القيادة السياسية في المنظور القرآني :**

للقيادة السياسية مكانة بارزة في القرآن الكريم فقد قرن الله تعالى طاعة القيادة السياسية بطاعته وطاعة رسوله مما يدلّ على أهمية وجودها، ووجوب الانقياد لها فقال عزّ وجل ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] وقال عليه السلام: " لتُنقضنّ عُرى الإسلام عُروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبّث الناس بالتي تليها، وأوّلهنّ نقضا الحكم وآخرهنّ الصلاة "[١].

لقد قرن الرسول عليه السلام الحكمَ بالصلاة وهي واجبة فدلّ على وجوبه[٢]،ولا يتصوّر وجوده إلا بوجود الخليفة الذي يُعوَّل على قوّته وسلطانه في تنفيذ أحكام الشريعة، وإقامة العدل بين الناس[٣].

ولولا وجود القيادة السياسية التي تقيم الدين، وتحرس الدنيا لتعطّلت الحدود، وعمّ الظلم، وانتشرت الفوضى، وشاع الفساد، يدل على ذلك قول عثمان بن عفان-رضي الله عنه-: " إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن " وقوله تعالى ﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

وإن من أهم أسباب بعثة الرسل إقامة الحق وفق شرع الله ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣] ومعلوم بداهة أن من مقتضيات تطبيق حكم الله وجود الحكومة التي تقوم بذلك. إن صلاح الرعية متوقّف على صلاح الراعي، لذلك فإن القيادة السياسية الصالحة تدعو جماهيرها إلى الهدى، وتقود الخلق إلى الحق، (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٣]

---

[١] الموسوعة الحديثية : ***مسند الإمام أحمد بن حنبل*** (بيروت : مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢١،١هـ ، ٢٠٠١) ٣٦ / ٤٨٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ١٠٤ حديث رقم ٧٠٢٢ وقال : صحيح و لم يخرجاه .

[٢] زيدان، عبد الكريم : ***أصول الدعوة*** (ط ٣ ،١٣٩٦هـ – ١٩٧٦) ص ١٩٥

[٣] نفس المرجع السابق ، ص ١٩٦